

The desert between the past and modernity (the UAE as a model)

Dr. Manal Dawoud Musa

Full-time Lecturer – United Arab Emirates

Abstract: History is civilization in one of its meanings; History and civilization are synonyms that carry one meaning. History carries the story of man to populate the land on which he grew up and established his civilization. This is something that we cannot ignore, given the natural and environmental conditions it bears, to the extent that man and nature appear to be intertwined, as history is intertwined with geography. There is no doubt that the environment plays an important role as one of the basic capabilities and factors in life, especially a fundamental factor in the establishment of any civilization, including the desert, as the oldest civilizations arose and arose from the heart of the desert. Hence, I tried to review in this research the great role that the desert played throughout history, and the impact it played in the establishment of civilizations and states at the present time, and from here I took the United Arab Emirates in this research as a model and example that had arisen and emerged from the heart of the desert. She discussed her upbringing, and benefited from the desert data as a lesson for authenticity, values, and morals. How was it able to create a prosperous, civilized state from the heart of the desert, keeping pace with its development and reconstruction with the latest achievements in the world, and at the same time preserving its culture, ancient Arab originality, and the authentic desert characteristics that it absorbed?

Keywords: The Desert, the past, modernity, the Emirates.

الصحراء بين الماضي والحداثة (الإمارات أنموذجاً)

د. منال داوود موسى

الملخص: إن التاريخ هو الحضارة في أحد معانيه، فالتاريخ والحضارة مترادفان يحملان معنى واحداً، فالتاريخ يحمل قصة الإنسان لإعمار الأرض التي نشأ عليها أقام عليها حضارته وهو أمر لا يمكننا تجاهله بما تحمله من أحوال طبيعية وبيئية إلى الحد الذي يبدو فيه الإنسان والطبيعة متلازمان تلازم التاريخ بالجغرافيا. ولاشك في أن البيئة تلعب دوراً هاماً باعتبارها أحد الإمكانيات والعوامل الأساسية في الحياة ولاسيما عامل أساسي في قيام أي حضارة ومنها الصحراء، حيث أن أقدم الحضارات كانت قد قامت ونشأت من قلب الصحراء. ومن هنا حاولت أن أستعرض في بحثي هذا عن دور الصحراء الكبير الذي قامت به على مدى التاريخ، والأثر الذي لعبته في قيام الحضارات والدول في الوقت الحالي، ومن هنا أخذت دولة الإمارات العربية المتحدة في بحثي هذا أنموذجاً ومثلاً كانت قد قامت ونشأت من قلب الصحراء، وتناولت نشأتها، واستفادت من المعطيات الصحراوية درساً للأصالة والقيم والأخلاق.

الكلمات المفتاحية: الصحراء، الماضي، الحداثة، الإمارات.

Received: 8/6/2019

Revised: 3/7/2019

Accepted: 7/8/2019

Published online: 17/9/2019

* Corresponding author:

Email:

manal.mousa1989@yahoo.com

Citation: Musa.M. (2019). *The desert between the past and modernity (The UAE as a model)*. International Jordanian journal Aryam for humanities and social sciences; IJJA, 1(3).

<https://doi.org/10.65811/132>

(CC BY 4.0)

©2019 TheAuthor(s). This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution 4.0 International (CC BY 4.0) license.

<https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>

International Jordanian journal
Aryam for humanities and social
sciences: [Ijssn Online 2706-8455](https://www.ijja.org/)

مقدمة الدراسة:

علاقة التاريخ بالحضارة:

التاريخ قصة الإنسان في الكون، وسيرته في هذا العالم، ورحلته عبر الزمان والحضارة تجسيد لهذا كله على المستوى المادي واللامادي عبر القرون. وإذا كان مؤرخو الحضارات يجمعون على أن جميع حضارات الإنسان، منذ البداية حتى الآن، قد أخذت عن الحضارات التي سبقتها- باستثناء الحضارات الأولى التي حددها البعض مثل أرنولد توينبي بعدد معين في وديان الأنهار في مصر والعراق والصين والهند- فإن معنى هذا في التحليل الأخير أن تاريخ الحضارة متصل الحلقات متواصل المراحل شأنه في ذلك شأن تاريخ الإنسان صانع الحضارة أيضا. وإذا كان الإنسان هو صانع التاريخ فهو أيضًا صنيعه هذا التاريخ، بمعنى أنه يصنع تاريخه حقا، ولكنه يتشكل بفعل هذا التاريخ أيضًا.

فإن الإنسان هو صانع الحضارة ونتاجها في الوقت نفسه، ومن ثم فإن التاريخ يحمل مفهوما حضاريا، كما أن الحضارة تحمل مفهوما تاريخيا، ولهذا السبب رحلة المعرفة التاريخية، أو "تاريخ موازية لرحلة الإنسان عبر الزمان" ومن ناحية أخرى كانت الحضارة هي ما أنجزه الإنسان على "التاريخ المستوى المادي واللامادي على امتداد هذه الرحلة وحتى الآن"، واللافت للنظر حقًا أن المؤرخين والباحثين وعامة المفكرين والمثقفين يتفقون على أن التاريخ علم موضوعه وهو ما يصدق على-الماضي الإنساني-ولما كانت الحضارة محصلة ما أنجزه الإنسان في الماضي.

الحضارات القديمة، والحضارات المعاصرة بالقدر نفسه - فإن الماضي عنصر يجمع بين التاريخ والحضارة فالحضارة بناء تاريخي متراكم فيما يشبه الطبقات الجيولوجية، ويحمل بصمات آثار التفاعل والتواصل و(صدام الحضارة) المستمر بين الحضارات الإنسانية الأخرى، بغض النظر عن عبثيات (نهاية التاريخ) و(العولمة).

وهنا نجد سؤالاً هل هناك ضرورة للمعرفة التاريخية في حياة البشر؟ وهل هناك وظيفة حضارية للتاريخ؟ إن بوسعنا الزعم بأن التاريخ ضرورة اجتماعية تقوم على أساسها وظيفته الحضارية. بمعنى أن كل جماعة بشرية بحاجة إلى المعرفة التاريخية التي تساعد على معرفة ماضيها، أي أصولها التي تعينها على فهم مكونات حاضرها، واستشراف الطريق إلى مستقبلها. (١)
(قاسم، ٢٠١٥)^١

^١ - الدكتور قاسم عبده قاسم، التاريخ... مفهوم الحضاري، دار العين، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ٢٠١٥.

والتاريخ إحدى الوسائل التي يتوسل بها الإنسان لفهم كينونته الحضارية في هذا العالم . ولا تقتصر هذه الوسيلة على الماضي الذي يدرسه التاريخ وحده ، وإنما تمتد إلى رحاب الحاضر لتكشف آفاق المستقبل . وهكذا تحددت منذ البداية قيمة المعرفة التاريخية بوظيفتها الثقافية/ الاجتماعية، ومفهومها الحضاري. وليس من المتصور، بطبيعة الحال، أن هذه الوظيفة كانت واضحة لدى الجماعات البشرية الباكورة بدرجة وضوحها الحالية بيد أن إحساس الجماعة الإنسانية بالحاجة إلى هذا النمط من المعرفة كان موجوداً على الدوام ومع تطور مراحل رحلة الإنسان في الكون عبر الزمان تطورت أيضاً المعرفة التاريخية ودورها الحضاري فقد اجتاز علم التاريخ مرحلة التراكم الكمي والسرد لكي يدخل في طريق محاولة صياغة النظريات واكتشاف القوانين التي تفسر حركة الإنسان في الكون.

وعلى الرغم من أن العلم التاريخي لم يتخل تماماً عن الكم والسرد، فإن محاولة صياغة النظريات واكتشاف القوانين هي نفسها محاولة البحث في أسباب قيام الحضارة وانهارها، حيث انتقل علم التاريخ من محاولة الإجابة على سؤال "ماذا حدث" إلى محاولة الإجابة عن "لماذا حدث ما حدث؟ وكيف؟"

هذا كله يؤكد أن المفهوم (الحضاري) الذي يلازم علم التاريخ ويلتصق به، حقيقة كانت موجودة على امتداد (تاريخ التاريخ) وربما يكون مفيداً في هذا المقام أن نقرر أن نمط المعرفة التاريخية قد ارتبط ارتباطاً عضوياً بالحضارة التي أفرزته على الدوام، فإن لكل جماعة نمط المعرفة التاريخية الخاص بها، والذي يعكس الخصائص العامة لحضارتها. ومن ثم فإن المفهوم الحضاري الكامن في المعرفة التاريخية يتجلى واضحاً في التاريخ الثقافي لجميع الحضارات.

هذا هو المفهوم الحضاري للتاريخ ؛ فمن المؤكد أننا نخرج من دراسة التاريخ بحقيقة واضحة مؤكدة هي أن تجربة الإنسان في الكون تكشف لنا عن حقيقة التنوع والثراء الذي تتسم به الحياة الإنسانية في سياقها الاجتماعي وإطارها الحضاري، ولكننا نكتشف أيضاً أن لكل جزء في الحياة الإنسانية على مَرّ التاريخ خصائصه الداخلية التي تجعلنا نقول إن هذا تاريخ الصين ، أو تاريخ المسلمين، أو تاريخ الهند ... وما إلى ذلك. وهو ما يجعلنا نسمى الحضارات بأسماء مختلفة مثل الحضارة المصرية، أو الحضارة الإغريقية، أو الحضارة العربية الإسلامية... وهكذا. (١) (قاسم، ٢٠١٥).^٢

^٢ - الدكتور قاسم عبد ع قاسم، التاريخ... مفهوم الحضاري، مرجع سابق

أثر البيئة في قيام الحضارة (عامل البيئة):

إن الأمر الذي لا يمكن تجاهله ، أن الإنسان يبني حضارته على الأرض بما تحمله من أحوال طبيعية وبيئية إلى الحد الذي يبدو فيه الإنسان والطبيعة متلازمان تلازم التاريخ بالجيغرافيا ، فمن يريد أن يضع حدث معين مهما كانت ضآلته ، فإنه محتاج بطبيعة الحال إلى مكان وزمان ليضع ذلك الحدث ، لأن الأمر متعلق بعملية واقعية معاشه فالفعل الحضاري بدون الجغرافيا مثله مثل المضمون بدون شكل ، والجغرافيا بدون الفعل الحضاري تمثل الشكل الساكن الفارغ من المحتوى . فالبعض ينظر لصورة الحياة الإنسانية على أنها انعكاس للأوضاع الجغرافية والمناخية لا تختلف في ذلك عن حياة النباتات ، وهذا يضمن أن التغيرات التاريخية إن هي إلا أشكال مختلفة لشكل واحد لا يتغير هو الطبيعة الإنسانية في استجابتها لمختلف المؤثرات ، وهذه النظرية تمتلك رصيد وتاريخ عريق وقد تكون لاقت استحسان أكثر من سابقتها ربما لان الأولى لاقت استهجان من الناحية الأخلاقية لما تحمله من تعالي للبعض وإنقاص من الأجناس الأخرى .

ومن الناحية العلمية ومما لاشك فيه أن البيئة تلعب دورا هاما باعتبارها أحد الإمكانيات والعوامل الأساسية في الحياة ، فمثلا "حرارة الأمطار الاستوائية" وما يجتاح هذه الأمطار من طفيليات لا تقع تحت الحصر لا يهين للمدينة أسبابها ، فما يسود تلك الأقطار من خمول وأمراض وما تعرف به من نضوج مبكر من شأنه أن يصرف الجهود عن كماليات الحياة التي هي قوام المدينة ، فهذا المثال ينال من الصحة نصيب وافر ، ولكن هذا لا يعني أن البيئة هي العامل الوحيد ، بل أن هناك عوامل أخرى ساهمت في ذلك آذان شعوب كثيرة واجهت ظروف صعبة ، ولكن كانت لها القدرة على التغلب عليها ، بعد أن تمكنت من معرفة أسرار الطبيعة ، وحاولت تسخيرها للوجهة التي تريد. (١) (الكريم)

وأن أكبر مثال الا وهو الصحراء . حيث نجد أن أقدم الحضارات كانت قد قامت ، ونشأت من قلب الصحراء على الرغم ما يسودها من قساوة الظروف من جفاف ، والطقس الحار ، وندرة المياه والموارد الطبيعية الخ...

الا ان الحضارات القديمة وبعض البلدان ، كانوا قد عرفوا أسرار تلك الصحراء ، وقاموا بتسخيرها ، و الاستفادة منها . فأسسوا حضارات عريقة ، وبلدان حضارية وأن آثارها وإنجازاتها تشهد على ذلك . ومن هنا سوف أوضح دور الصحراء وأثرها الكبير في نشأة تلك الحضارات والبلدان وأخذت دولة الإمارات العربية المتحدة أنموذجا كمثال عريق يحتذى به وكيف نشأت من قلب الصحراء ، وما بين قساوة الصحراء والعراقة والأصالة والقدم وما حققته من إنجازات وابتكارات في الوقت

المعاصر أسست دولة عريقة مزدهرة تواكب أحدث المعايير والإنجازات في الوقت المعاصر.^٣

أثر الصحراء وسماتها في نشأة دولة الإمارات العربية المتحدة:

تقع دولة الإمارات العربية المتحدة في البروز الأرضي الجنوبي الشرقي من شبه الجزيرة العربية الذي يضم سلطنة عمان والإمارات العربية المتحدة وهي محصورة بين درجات العرض الجغرافي الشمالية ٢٢ درجة و ٣٠ دقيقة و ٢٦ درجة و ٥ دقائق بين رملة عروق الشيبة في الجنوب ومنطقة سقيم- القير في الشمال في شبه جزيرة مسندم ، فإذا أضيفت إلى ذلك الجزر الإماراتية في الخليج يكون حدها الشمال الأقصى هو العرض الجغرافي الشمالي ٢٦ درجة و ١٥ دقيقة وخط الطول ٥٦ درجة و ٢٠ دقيقة شرق غرينتش في أقصى شرقي البلاد عند قرية خطم وبروز. (١) (taghreed)

وتغطي الصحراء الرملية معظم المساحة السطحية لدولة الإمارات العربية المتحدة ضمن حدودها المعاصرة الممتدة جنوبا من ساحل الخليج العربي إلى صحراء الربع الخالي الواسعة المهجورة ، وشرقا إلى سهول الحصباء المجاورة لجبال الحجر. وتعد هذه الصحاري ظاهرة حديثة من وجهة النظر الجيولوجية ناتجة عن التآكل والتعرية التي حدثت على مر العصور في بيئة جافة فوق سطح الأرض وتغطي الرمال طبقة رسوبية ثخينة غنية بالنفط تعرف بالمنبسط الصخري العربي التي تشكل حجر الأساس في معظم دولة الإمارات العربية المتحدة ولم تكن هذه الأحجار ظاهرة على سطح الأرض ، بل تم اكتشافها من خلال عمليات الحفر والتنقيب ، وتختلف رمال الصحراء من حيث الشكل والتركيب ، إذ تتألف غالبية الرمال القريبة من الساحل من مشتقة من الأحجار الأساسية الكربونية والقواقع والشعب المرجانية ، مواد كلسية التي تعد من المعادن خلافا للرمال الداخلية المتألفة في أغلبها من حبيبات الكوارتز المكونة للأحجار باستثناء الأحجار الكربونية. وتتضمن حبيبات رمال الصحراء عادة شوائب سطحية أو حبيبات الكوارتز التي أصابها عوامل التعرية والغرلة بصورة كبيرة وتقوم النباتات بتثبيت الرمال في العديد من المناطق القريبة من الساحل ، إلا أن هذه النباتات الطبيعية تعرضت مؤخرا لتغيرات نتيجة لرعي الحيوانات الداجنة . وإلى داخل البلاد بعيدا عن الساحل تكون الرمال قاحلة في الغالب حيث لا توجد الكثير من النباتات التي يمكن زراعتها بنجاح على الكثبان الرملية المتحركة.

وتسيطر جملة من العناصر على عملية تكوين الكثبان الرملية وهي شدة الرياح واتجاهها ووفرة المواد المترسبة إلا أن تفاصيل هذه العمليات كانت معقدة وصعبة الفهم ويمكن أن تكون تشكيلات الكثبان الرملية منظمة في أي منطقة معينة وكذلك معقدة ، على رغم ذلك الانتظام

^٣ - السعيد أمبارك عبد الكريم، عوامل قيام الحضارات بين التعددية والأحادية، جامعة بنغازي، ص ٦-٨

تختلف مقاييس الخصائص الشكلية لهذه الكثبان، فهناك المرتفعات الرملية العملاقة التي يقاس امتدادها من مئات الأمتار إلى بضعة كيلو مترات أو تلك الكثبان التي تمتد بين بضعة أمتار إلى العشرات من الأمتار أو تلك الحديبات الرملية التي تمتد جزءاً من المتر أو أكثر بقليل، ومن الممكن ملاحظة هذا التدرج القياسي في صحاري دولة الإمارات العربية المتحدة بسهولة. (٢) (جلال، ٢٠١٨).^٤

وتعد الخصائص المناخية من بين العوامل الطبيعية التي تؤثر على حياة الإنسان على الأرض في أي مكان وزمان، فالإشعاع الشمسي ودرجة الحرارة، ومقدار الضغط الجوي، والرياح، ونسبة الرطوبة، والأمطار تؤثر بشكل كبير في الحياة اليومية لسكان دولة الإمارات العربية المتحدة. فنجد أن ساعات العمل في شهور الصيف تقل خاصة في الأماكن المفتوحة، وقد سنت الدولة قوانين صارمة للمحافظة على حياة العمالة في فترات الظهيرة، ومن العناصر المناخية الرئيسية التي تؤثر في الخصائص المناخية لدولة الإمارات العربية المتحدة:

- الحرارة.
- الرياح والكتل الهوائية.
- نسبة الرطوبة.

وقد برزت على سواحل الخليج في منطقة ساحل عمان التي تعرف الآن بالإمارات العربية قوتان مستقلتان هما: القوة البحرية: وتتألف من حلف قبائل بني غافر يتزعمه القواسم وهم قبيلة عمانية عربية حيث بدأت زعامتهم على أثر انحلال دولة اليعاربة التي حكمت عمان بأكملها وبدأت دولتهم في ما يسمى اليوم برأس الخيمة والشارقة ثم انتشرت لتشمل شرق الخليج العربي بساحليه الشمالي والجنوبي إضافة للجزر وقد صارت للقواسم في القرن السابع عشر الميلادي أضخم قوة بحرية في المنطقة وامتاز رجالها بالصلابة والشجاعة .

وبنو ياس هم قبيلة عربية عدنانية يرجع نسبها إلى ياس بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان ولها وجود هام على ساحل الخليج العربي تحالفت بعض القبائل معها وأطلق على هذا الحلف تحالف بني ياس وكانت زعامة هذا الحلف بيد قبيلتان آل بوفلاح التي ينحدر منها آل نهيان حكام إمارة أبوظبي آل بوفلاسة والتي ينحدر منها آل مكتوم حكام إمارة دبي .

أما القبائل المتحالفة فتشمل: آل بومهير، المزاريق، الهوامل، المشاغبين وهم فرع من آل بومهير مستقل، السبايس وهم فرع من آل بو مهير مستقل، المحاربة، القبيسات، الرميثات،

^٤ - د. جلال زناتي جلال، الموسوعة التاريخية لإمارات السعادة العربية دولة الإمارات العربية المتحدة بين عقب الماضي وآمال المستقبل، جامعة الإسكندرية، كلية التربية

الحلالمة، المرر، آل بوحمير، وهم فرع من المناصير القمزان، السودان، الريالات، امتد نفوذ بني ياس آنذاك على طول الساحل الإماراتي الحالي حتى خور العديد.

وكانت طبيعة الحياة في تلك الفترة لم تكن أعداد سكان المنطقة تتعدى ٧٢,٠٠٠ نسمة. (١)
(جلال، ٢٠١٨)°

- تسخير السمات الصحراوية الأصلية في عملية النهوض:

إن الأمة التي لا تعرف ماضيها وتهمل تدوينه لن تتمكن من قيادة حاضرها ولا صياغة مستقبلها وهو ما أكده القائد المؤسس الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان طيب الله أثره حيث قال: "ومن لا يعرف ماضيه لا يستطيع أن يعيش حاضره أو مستقبله" ونحن في دولة الإمارات العربية المتحدة "لسنا أمة طارئة على التاريخ" كما قال صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم رعاه الله، فتاريخ الوطن ممتد ما يقرب من سبعة آلاف سنة وفق ما أثبتته النقوش والرسوم واللقي الأثرية للبعثات العالمية منذ مطلع الخمسينيات من القرن المنصرم حتى تاريخه.

إذا كان تاريخ الإمارات العربية المتحدة يعود إلى آلاف السنين فإن تاريخ شعبها يمتد لأكثر من ١٤ قرناً من الزمان مع بداية الإسلام وأثبت خلالها هذا الشعب قدرته على تعمير هذه الأرض وساهم في صنع الحضارة العربية التي كانت رافداً هاماً وأساسياً في صنع الحضارة العالمية.

وليس هذا ادعاءً بدافع العصبية وحب الوطن بل هو حقيقة تثبتتها الشواهد العلمية والتاريخية المتتالية في العديد من مناطق الدولة والشواهد الحضارية التي تثبت أن أجدادنا عاشوا على هذه الأرض وعمروها منذ قرون طويلة. وتزخر دولة الإمارات العربية المتحدة بالعديد من شواهد التاريخ القديم والحديث فمنذ الألف الثالث قبل الميلاد كانت هناك مستوطنات بشرية لها فعاليتها الاقتصادية خارج حدودها وتمتد علاقاتها إلى الحضارات الأخرى المحيطة بها، وقد اكتشفت حتى الآن عدد من المواقع الأثرية تعود إلى الفترة من الألف الثالث قبل الميلاد إلى الألف الأول قبل الميلاد مثل قرية هيلي قرب مدينة العين، وأم النار على الشاطئ قرب أبوظبي، والقصيص في دبي وغليلة في منطقة رأس الخيمة ودبا على الساحل الشرقي، ومن العصر الإسلامي الأول هناك عدد من الآثار منذ القرن السادس عشر في مدينة العين والعوهة ورأس الخيمة

° - د. جلال زناطي جلال، الموسوعة التاريخية لإمارات السعادة العربية دولة الإمارات العربية المتحدة بين عقب الماضي وآمال المستقبل، مرجع سابق.

والرسم.

ومن هذا التاريخ العريق المنبثق من قلب الصحراء صحراء العرب، وصحراء دولة الإمارات العربية المتحدة. فمع هذه الظروف المناخية الصحراوية حيث الحياة الصحراوية القاحلة والطقس الحار الجاف، وندرة المياه، والموارد الطبيعية .

حيث القبائل دائمة الترحال، وربما تقطع القبيلة آلاف الكيلو مترات في الصحراء، دون أي وسيلة لتحديد الاتجاهات سوى الشمس والنجوم، فلم يكن البدو يستخدمون أي وسيلة معتمدين في ذلك على شروق الشمس وغروبها والنجوم، وقد استخدموا الإبل لسببين: الغذاء المباشر والبيع إضافة إلى اعتمادهم عليها كوسيلة للتنقل إذ كان عصب الحياة.(١) (جلال، ٢٠١٨).^٦

وهنا السؤال الجوهرى والذي يطرح نفسه بموجب قساوة الصحراء وظروفها كيف قامت دولة الإمارات العربية المتحدة؟ وكيف أسست نهضتها وحضارتها وحققت إنجازاتها؟ وماهي القواعد التي أسست عليها دولتها؟

صحراء قاحلة، طقس حار جاف، ندرة المياه والموارد الطبيعية. كانت تلك حياة صحراء الإمارات العربية المتحدة وظروفها، الا أنها في نفس الوقت يجب أن ننظر للموضوع من الجوهر أي ما حمله من معاني أخرى لها القيمة الكبرى والجوهر الثمين الأصيل، مع أوائل الخمسينيات لم يكن الحال أفضل مما مضى. فكانت مدينة العين تعيش حياة بسيطة لا تخلو من القسوة، فأهلها كانوا يقطنون البيوت التي بنيت من الطين، وسعف النخيل وكانت النساء تحمل الماء داخل جرار فخارية من الأفلاج فوق رؤوسهن.(١) (الظاهري، ٢٠١٨).

وسط هذا الظلام الدامس والقسوة الموجهة، عاش سكان العين البدو في تحد لصعاب الحياة، من فقر وعوز وأيضا مرض، حيث كانوا يعتمدون في علاجهم على الأعشاب الطبية التي كان يتاجر بها بعض المدعين في سوق المرض، وبما أن بحثي عن الإمارات أنموذجا لم أجد أفضل وأغنى وأهم مصدر من الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم رعاه الله في كتابه "قصتي" والذي هو من أكثر الكتب غنى وقيمة بما يحتوي من تفاصيل ودروس قيمة.

ولا يسعني الا أن أعرض الموضوع كما هو من كتاب "قصتي" من الشخص نفسه الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم لأوضح الواقع والصورة بموضوعية وشفافية خالصة كما هي وسوف أذكر بعض

^٦ - د. جلال زناقي جلال، الموسوعة التاريخية لإمارات السعادة العربية دولة الإمارات العربية المتحدة بين عقب الماضي وآمال المستقبل، مرجع سابق.

التفاصيل عن إمارة دبي لكي أوضح فكرة الجوهر الكامن داخل قساوة الصحراء وماهي الدروس، والقيمة والأصالة الخالصة الكامنة من قلب قساوة الصحراء وكيف كان الواقع وماهي الخطط والأسس التي تم إتباعها والنهج الذي ساروا عليه في تأسيس دولة الإمارات العربية المتحدة.

قال الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم " إن ما يقود الشعوب نحو التطور ليس الوفرة المادية بل الطموح، الطموح العظيم، نحن البشر يحركنا الإلهام والطموح أكثر من أي شيء آخر " كنت في السابعة أو الثامنة عمري عندما بدأ والدي يأخذني لأحد شيوخ المناصير في الصحراء، واسمه حميد بن عمهي، لأتعلم منه الصيد. وحميد لم يكن يسكن قرب الماء مثل بقية البدو، بل كان بعيدا في الصحراء ، مع زوجته وأبله وصقره وكلب للصيد ومضارب خيم، ما زلت أذكر زوجته وقوتها في حمل الحطب وحلب النوق وذبح الغنم وطبخها لوحدها، بالإضافة إلى مهاراتها في الصيد بالصقور والكلاب.(٢) (مكتوم، ٢٠١٨).

كان أبي يتركني مع حميد بالأيام. تعلمت منه الصيد بالصقور والكلاب، وحركة الحيوانات وعاداتها وخدعها الكثيرة للاختفاء، وكيف يصيد المفترس منها، وكيف يصاد الضعيف فيها. فمثلا لا جدوى من محاولة صيد لأرنب عندما يرعى، لأنه يكون سريعا، وإنما في أول النهار أو في آخره عندما تأوي الأرناب إلى بيوتها، وتحفر الأرناب في الصيف لنفسها جحورا عميقة، أما في الشتاء وهو موسم الصيد فإنها تدفن نفسها بين الشجيرات وسط الرمل ، وأفضل طريقة لصيدها هي تعقب حركتها حتى بيوتها.

تعلمت من حميد الكثير عن الصقر وعاداته، و كلب الصيد وطبائعه، كثيرون مثلا لا يعرفون لماذا يضع البدوي الصقر على يده ويرفعه دائما عند مستوى نظره، لأن الصقر يحس بالخطر إذا كان على علو أقل من الذي بجانبه. عدو الصقر هو النسر ودائما يحذر ممن علا ارتفاعه عنه، وقد يهاجمه.

بعد يوم ملئ بالصيد ودروسه كنا نجتمع حول النار للعشاء والحديث الذي لا يمل، ذكريات مازالت محفورة في ذاكرتي بجمالها وشغفها، وحتى بآلامها، نعك آلامها: لا يعادل دفء الفراش في الصحراء الباردة بالليل أي شيء. لكنني كنت أستيقظ عدة مرات على لدغات عقارب صغيرة، يبدو أنها كانت تبحث عن الدفء أيضا في فراشي. أقوم متألما بشدة. يأخذني حميد إلى النار، ويضع الرماد على أماكن اللدغات لينحسر السم ويسهل امتصاصه. كانت حرارة الرماد تخفف ألم اللدغات، وكنت استغرب أنني الوحيد الذي تلدغه العقارب...

نعم الوحيد، وذلك لسببين الأول لأنني لم أستمع للنصح بالتحقق من الفراش قبل النوم في

الصحراء وما يضمه، والثاني لأن حميد كان يجمع ما بين ١٠ إلى ١٢ من صغار العقارب ويضعها في فراشي متعمداً، أدركت ذلك متأخراً. كان حميد يريد ان يبني مناعي ضد لدغات عقارب الصحراء المميتة عن طريق هذه الجرعات من العقارب الصغيرة ولدغاتها. ولليوم، لاتزال لدي مناعة ضد سم العقارب.

أبي والخيل ودبي، هي ذكرياتي الأولى عن طفولتي، أبي والخيل ودبي هي ذكرياتي التي ستبقى معي حتى النهاية.

الخيل تجمع العزة والأنفة والرقة والقوة في نفس الوقت، وكذلك أبي وكذلك دبي.

ما بين الرابعة والثامنة من عمري، علمني أبي الكثير عن الصحراء وكيف يمكن أن تعيش حياة كاملة فيها، رغم ما يظهر عليها من قسوة المظهر وقلة الموارد واتساع قد يخيف الكثير من الناس. بين الرابع والثامنة، علمني والدي كيفية تعقب الأثر أو قراءة الرمال كما لو أنك تتصفح كتاباً. كان يريني آثار الإبل، ويقول: كل بدوي يمكنه تمييز إبله من آثار أقدامها، ولو كان عددها بالمئات. (١) (مكتوم، ٢٠١٨)^٧

عرفني عندما كنت صغيراً على آثار الغزلان، والحباري، وطيور الكروان، والعقارب، والأفاعي والذئاب والثعالب، وكل حيوان يسكن الصحراء كان يقول: لا يمكن أن نفهم حيواناً دون فهم البيئة التي يعيش فيها بالكامل، وموقعه فيها، وكذلك الإنسان، قد تجعله البيئة التي يعيش فيها ملاكاً أو شيطاناً. لابد أن نعرف البيئة التي نشأ فيها.

لابد من تكتيك وخطة للحصول على الطعام في الصحراء. وكان والدي يقول: عندما تمضي الليلة وأنت جائع، ستتعلم دروسك بتركيز أكبر في صباح اليوم التالي.

تعلمت من والدي الرماية وإفراغ البندقية وتنظيفها قبل الثامنة من عمري. تعلمت منه أن ترك السلاح من دون مرافق جريمة كبرى. لأنه قد يقع بين يدي شخص آخر ويودي بحياته.

كنا نذهب إلى الصيد ومعنا أدوات صغيرة فقط، ونصطاد معظم ما نحتاجه من طعام. اهتم والدي بتعريفني على تضاريس الأرض وعلاماتها، بالإضافة إلى علامات السماء، النجوم. النجوم هي بوصلة الصحراء. وفي الليالي الغائمة نستعين بالرياح وجهة شروق الشمس. كان يقول: الضياع في الصحراء أمر سهل جداً، ويعتمد الفريق دائماً على القائد ليحدد الطريق. كانت هذه الغريزة تتأصل في داخلي كل يوم، لتغدو عملية طبيعية وتلقائية.

قبل الثامنة من عمري علمني والدي كيف أعيش في الصحراء مع هوامها ودوابها مع ذئابها

^٧ - محمد بن راشد آل مكتوم، قصتي، مرجع سابق، ص ٢٠-٢٧.

وغزلانها، مع بردها وحرها وتقلباتها. بعد الثامنة علمني والدي كيف أعيش في المدينة، مع البشر. دبي ليست صدفة. دبي هي ثمرة رحلة استمرت أكثر من ١٨٥ عاماً. دبي هي قصة طويلة من الكفاح والتغلب على مخاطر هددت وجودها واستمراريتها. دبي اليوم دانة الدنيا وستبقى بإذن الله. بدأت رحلة دبي مع الشيخ مكتوم بن بطي في الثلث الأول من القرن التاسع عشر وهو الحاكم الذي رسخ الإرث الحالي للعائلة ووضع حجر الأساس لإمارة دبي. وكان هدفه الأول جعل دبي مكاناً آمناً لكل سكانها، ثم خلفه شقيقه سعيد بن بطي الذب أرسى عدالة مطلقة في الإمارة الناشئة. عامل رئيسي في استمرارية دبي عدالتها مع القريب والبعيد. وجزء أساسي من إرث الأسرة الحاكمة في دبي هو العدالة. لانظلم ولا نظلم. العدالة التامة هي الدرس الأول في دستور دبي غير المكتوب. وجاءت سنون شداد في عهد سعيد بن بطي، انتشرت فيها الحروب بين القبائل. رسخ الشيخ سعيد الأمن الداخلي بقوة، واستطاع إبرام تحالفات مع أبوظبي وبقية الإمارات الأخرى المجاورة (١) (مكتوم، ٢٠١٨)^٨

واستطاع أيضاً التعامل مع البريطانيين الذين حكمت علاقتنا معهم معاهدة. العلاقات المتوازنة مع الجميع والتحالفات المستمرة هي الدرس الثاني في دستور دبي غير المكتوب. لا نعادي أحداً ولا عذر لأحد أن يعاديننا.

ثم جاء الشيخ حشر بن مكتوم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حيث استمر حكمه سبعة وعشرين عاماً شهدت خلالها دبي مزيداً من الاستقرار والتمكين وعرف بحكمته وحزمه، خلفه الشيخ راشد بن مكتوم الذي حكم دبي ثماني سنوات، عمد خلالها إلى تعزيز استقرار دبي، أمنياً واقتصادياً.

ومن بعده جاء مكتوم بن حشر الذي استلم مقاليد الحكم أواخر القرن التاسع عشر. وكان مكتوم صاحب نظرة اقتصادية عبقرية، حيث حققت دبي في عهده ازدهاراً اقتصادياً لافتاً. مرسياً قواعد التجارة والاستثمار فيها. وهذا هو الدرس الثالث في دستور دبي غير المكتوب، الانفتاح على الجميع، وتحرير التجارة أمام الجميع والترحيب بكل من يريد أن يضيف شيئاً لاقتصادنا.

بعد وفاة الشيخ مكتوم بن حشر في العام ١٩٠٦، حكم الشيخ بطي بن سهيل دبي ست سنوات، قبل أن يخلفه سعيد بن مكتوم، الذي انتقلت دبي في عهده إلى مرحلة جديدة تماماً أرسى خلالها نواة المدينة الحديثة.

^٨ - محمد بن راشد آل مكتوم، قصتي، مرجع سابق، ص ٢٨-٤٧.

بدأ جدي الشيخ سعيد بن مكتوم فترة حكمه التي استمرت نحو خمسة عقود في العام ١٩١٢. فشهد عدد سكان دبي في عهده زيادة كبيرة وازدهرت التجارة البحرية في مجال الأقمشة والأعشاب والبخور وغيرها.

وصية جدي لنا هي التنوع الاقتصادي وعدم اعتماد على مصدر واحد، وهو ما سار عليه أبي الشيخ راشد من خلال بناء الموانئ وتوسيع الخور، وتطوير المناطق الحرة والمطار، وإطلاق الشركات الكبرى.

كثيرا ما يسألني الناس بانبهار لماذا تطلق دبي باستمرار مشاريع جديدة ومختلفة؟ مناطق للإعلام، ومدينة للإنترنت، ومسرعات للتقنية، وموانئ في كافة أنحاء العالم، ومطارات جديدة، وشركات في قطاع الطيران والألمنيوم والعقارات والتقنيات المتقدمة والصيرفة الإسلامية والتقليدية وغيرها؟ لماذا كل هذا؟

الإجابة هي في دستور دبي غير المكتوب تنويع المصادر هو القاعدة الرابعة لنجاح دبي، وهو وصية تتوارثها الأسرة الحاكمة. هو الضمان أن ما وصلنا إليه بعد رحلة كفاح استمرت أكثر من ١٨٥ عاما لا يمكن أن نتخلى عنه بالاعتماد على مصدر واحد للدخل، ومصدر واحد فقط للحياة. تعلمت الا أستهين بالطبيعة أبدا، وتعلمت بعدها أن نكون مستعدين دائما لأي طارئ. رغم قسوة العاصفة

بدأ الشيخ راشد حكمه بطاقة كبيرة وحماسة عالية وروح متقدة. كل يوم في حكم راشد كان مدرسة بالنسبة لي في كل يوم فكرة ومشروع وحكمة. (١) (مكتوم، ٢٠١٨)^٩ أذكر أنه القرارات التي اتخذها راشد بعد توليه مسؤولية الحكم تأسس مجالس للبلدية والتجار وغيرهم من الأشخاص الموهوبين في مجتمعنا. من بناء ومهندسين وتجار ومثقفين. وعندما سألته عن سبب دعوته كل هذه الوجوه الجديدة، نظر إلي بجدية وقال: الإنسان لا يتوقف عن التعلم. نريد منهم أن يخبروني كيف يريدون أن نبني دبي، ونريدهم أن يعلموك كيف تكون قائدا، فقد بدأ تدريبك كذلك.

كان ذلك اول درس تلقيته على يد راشد. كان الكلام عميقا وبسيطا وكنت أدرك عمقه وأهميته وعظمته كلما كبرت، وكلما زادت مسؤولياتي. نعم الإنسان لا يولد كاملا، هو بحاجة لعقل غيره لاستكمال عقله ورأيه، وهو بحاجة لتعلم مستمر لا يتوقف مهما بلغ من منزلة. القائد بحاجة لمشورة من حوله أيضا، لكسب تأييدهم لخطته ومشاريعه، فلا يتكبر على النصيحة والمشورة الا

^٩ - محمد بن راشد آل مكتوم، قصتي، مرجع سابق، ص ٤٧-٦٧.

جاهل.

قامت دولة الإمارات على أيدي قادة كانت لديهم القدرة على إنكار الذات، وحققت الدولة المعجزات على أيدي هؤلاء القادة، وسيبقى أحد أهم أسرار نجاحنا هذه القيمة التي لا بد أن تستمر في جميع المسؤولين في هذه الدولة حتى تستمر المعجزة، قيمة إنكار الذات لمصلحة البلد. (١) (مكتوم، ٢٠١٨) ١٠

وبعد ذكر القصة كما هي بواقعها الحرفي اعتقد أن الصورة أصبحت واضحة وجليّة للجميع، إذ أن تلك الدولة العريقة، على الرغم من نشأتها من قلب الصحراء إلا أنها كانت السمة المميزة التي امتازت بها فمن تلك القاعدة الواسعة استخدمت دولة الإمارات العربية المتحدة تلك الظروف وسخرتها لإنشاء دولة عريقة منذ البداية باعتمادها على الإبل والصقور والغزلان واستخدام النجوم كبوصلة، من هذه البساطة الخالصة تشربت دولة الإمارات العربية المتحدة أصالتها وعراقتها التي هي ميزتها الأساسية ترعرعت على قيم الوفاء والإخلاص والتقدير، من النجوم أرشدتها إلى طريقها في بناء دولتها والتمسك بالطموح للوصول وتحقيق الإنجازات.

لم تعيقها قساوة الصحراء بل دفعتها للوصول سخرتها بما هو خير للناس والدولة، لم توقفها مطبات الحياة ومعوقاتنا بل زادت منها قوة وإصرار لتحقيق الازدهار.

ومن خلال تلك المعاني الجوهرية القيمة، والتي تشربتها منذ البداية وترعرعت عليها، أصبحت هي ميزتها العالية والتي تمتاز بها عن غيرها، ذلك التراث العريق بما هو غني من قيم وأخلاق وأصالة، قدوة ومثال يحتذى به في جميع المجالات.

علاقة الحضارة بالقيم:

تختلف القيم باختلاف الحضارات التي تتبناها، فالحضارة الإسلامية ثابتة القيم لا تتغير، وذلك لثبات مصدرها. بينما الحضارات التي استندت على القيم المادية الوضعية، فإن قيمتها تتغير بالتغير الفكري المتجدد. فالحضارة التي تسيطر عليها النظم المادية تتأثر قيمتها بذلك. فتقل الجوانب الروحية فيها إذ أن الحضارة لا تقوم على القيم المادية فقط أو الروحية فقط (١) (بريجية، ٢٢ سبتمبر ٢٠١٦).

فكثيرا ما تعتمد استراتيجيات التنمية على الجوانب الاجتماعية، والقيمية، وسلوك الأفراد، والجماعات في توطين التنمية، ويؤكد المختصون على أهمية القيم الأخلاقية في تقدم الأمم، ونهضتها وغالبا ما تعود أسباب سقوطها إلى الانهيار في منظومة القيم الأخلاقية.

١٠ - محمد بن راشد آل مكتوم، قصتي، مرجع سابق، ص ٦٧-١١٩.

فإن الأخلاق والعمران (مصطلح ابن خلدون) أو الأخلاق، والتنمية، قضية في الاقتصاد على وجه الخصوص وفي الفكر الخلدوني يعمل مصطلح العمران على قيام الدول وسقوطها وتطور المجتمعات وضمحلها فإن ابن خلدون في مقدمته (مقدمة ابن خلدون) اعتقد أن الالتزام بالشرعية بما فيها من قيم أخلاقية شرط لتحقيق العمران، على نحو آمن ومستقر وكتب في فصل آخر ما يؤكد أهمية القيم الأخلاقية في الاقتصاد (٢) (محمد العربي بوش، ٢٠١٨).

حيث يتفق المفكرون والمؤرخون من أمثال ابن خلدون. على أن ضعف منظومة القيم الروحية، والأخلاقية في المجتمع يعد أهم سبب في وجود الأزمات، وحصول تحديات تواجه الأمة في استعادة نهضتها المفقودة، ولقد تعددت آراء الباحثين في تحديد مفهوم القيمة. نظرا لاختلاف توجهاتهم الفكرية أو مدارسهم العلمية، وتخصصاتهم الأكاديمية. حيث عرفت القيم بعدة تعريفات منها:

مجموع المعتقدات والقناعات التي ينظر من خلالها الفرد إلى أي موضوع سيكولوجي "إنسان، حدث سلوك أو شيء" والتي تعمل على توجيه رغباته، نحو هذه المواضيع السيكولوجية وتحدد طبيعة سلوكه تجاهها "القبول، الرفض، اللامبالاة" (٣) (السلومي)

كل ما من شأنه أن يمثل معيارا وميزانا يتحرك من خلاله الإنسان، ويتصرف وعيا وسعيا بوجي من إشارات، وتوجيهاته حيث تكون هذه الحركة في استقامة وثبات. وبه يكون لهذه الحركة قدرتها وفعاليتها^{١١}

المعنى الخلقى الذي يستحق أن يتطلع إليه المرء بكليته، ويجتهد بالإتيان بأفعاله على مقتضاه. أي أنه المعنى الذي يجمع بين استحقاقين أثنين استحقاق التوجه إليه واستحقاق التطبيق له. ولاشك أن الأخلاق مأخوذة من الدين. و توضيح ذلك أنها تدور على الخير والشر والخير والشر لا تنشأ من الواقع لأن الواقع لا ينشأ الا الواقع. والقيمة أمر واجب. والواجب خلاف الواقع كما أنهما لا ينشأن من العقل المستقل، لأن العقل المستقل لا ينشئ الا القانون أما القيمة فهي عبارة عن مثال والمثال خلاف القانون إذ القانون يسبقه الشك وقد يعقبه خطأ في حين أن المثال اليقين ولا يعقبه الا الصواب. فعلى الرغم من أن قوانين التمايز مختلفة ومفهومة بشكل غامض ولها نتائج متشعبة الا أنه في الوقت نفسه فإن أي تمايز لا يتم توريثه لا يمثل أي أهمية وإذا لم يكن له

١١- أروى بريجية، مفهوم الحضارة والقيم، موضوع، ٢٢ سبتمبر، ٢٠١٦.

٢- محمد العربي بوش، د. عبد القادر مهاوات الشهاب، دور القيم الروحية في بناء الأمم والحضارات حيثياتها-دولة المرابطين أنموذجا، مجلد ٤، معهد العلوم الإسلامية، جامعة الوادي، ص ٢٧١-٢٦٧.

٣- د. عبد العزيز السلومي، القيم الروحية والنهوض التنموي في فكر ابن خلدون مع الإشارة للتجربة المليزية كنموذج لمساهمة القيم في النهوض التنموي للمجتمعات المعاصرة، أ عمر حوتيه، جامعة أدرار، ص ٢٩١-٣٢٠.

دور نافع ذا معنى لا يشكل أي قيمة، ومن جانب آخر ذكر ابن خلدون في أن أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضرة "وسببه: أن النفس إذا كانت على الفطرة الأولى كانت متهيئة لقبول ما يرد عليها، وينطبع فيها من خير أو شر، وبقدر ما سبق إليها من أحد الخلقين تبعد عن الآخر ويصعب عليها اكتسابه. فصاحب الخير إذا سبقت إلى نفسه عوائد الخير وحصلت لها ملكته بعد عن الشر، وصعب عليه طريقه، وكذا صاحب الشر إذا سبقت إليه أيضا عوائده .

وأهل الحضرة لكثرة ما يعانون من فنون الملاذ وعوائد الترف، والإقبال على الدنيا، والعكوف على شهواتهم منها قد تلونت أنفسهم بكثير من مذمومات الخلق، والشر وبعثت عليهم طرق الخير، ومسالكة بقدر ما حصل لهم من ذلك " ومن هنا فإن بذرة فطرة الأخلاق هي تلك الأساس والدعامة والتي طبع عليها سكان الإمارات العربية المتحدة الأخلاق والخير وبنوا دولتهم وأورثوها لأبنائهم وسوف يورثونها للأجيال اللاحقة من بعد ذلك (١) (خلدون، ٢٠٠٤).

فلا يبقى الا أن الأخلاق على الأقل في أصولها مصدرها الدين. فيحدث منها العقل بإحدى آلياته الاستدلالية فروعاً فيتوهم بعضهم أن الاخلاق كلها أصولاً وفروعاً إنما هي من صنع العقل الإنساني. وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: " وإنك لعلى خلق عظيم" ويعبر مالك بن نبي ويمكن اعتبار هذا الجانب ركناً أصيلاً وجوهرياً في مشروعه حيث عمم تجربة الإصلاح الفكري والروحي لبناء الحضارة بقوله " وكانت الأمة تقدم تضحياتها لبناء المدارس والمساجد من أجل البعث الفكري والبعث الروحي" اللذين هما عماد كل حضارة. (٢) (اليعربي، فبراير ٢٠١٧)^{١٢}

إذا فان القيم والاخلاق الفاضلة، هي الأساس القوي الذي تبني عليه الحضارات، ويحمي البشرية من كل ما يسيء لها في منظومة حياتها في مختلف مراحل نموها، وتطورها في المجالات كافة. فالحياة من دون هذه الأخلاق غالباً ما تعيش البشرية في دوامة من الفراغ الروحي التي يوقعها في الفوضى، والمشاكل أن فساد الأخلاق هو الطامة الكبرى التي تؤدي بالحضارة الإنسانية الى الانهيار، والفناء والتاريخ خير شاهد على ذلك. (١) (محمد العربي بوش، ٢٠١٨).

ما بين الماضي والحداثة:

لقد نظر البيروني من زاوية الفائدة الموجهة للبشرية، إن التاريخ مستودع الخبرات البشرية، ومنبع لاستخلاص العبر، لتفادي ما يمكن حصوله أو الخروج من وضع ما، باستلهام حيلة أو خطة ما. وهو يشير على استخلاص الحكمة من التجارب البشرية. فالتاريخ مستودع لهذه التجارب

^{١٢} - العلامة ولي الدين عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، الجزء الأول، الطبعة الأولى، دار يعرب، دمشق، ٢٠٠٤، ص ٢٥١
٢- صالح بن سالم اليعربي، الأخلاق أساس الحضارة، الإتحاد، ٢٦ فبراير، ٢٠١٧

فالكتابة التاريخية مهمة جدا في حفظ التراث الذي يفترض حمايته وعدم العبث به، وتحريفه، وتحمل المسؤولية أمامه. ولهذا أكد البيروني قيمة الكتابة والتدوين في حفظ الآثار، والمعارف والأمم. فالتدوين والكتابة تفوق شرف كل علم وفن، والأهمية القصوى للتاريخ تكمن في أنه مستودع الخبرة، ومكتنز الحكمة الإنسانية. وهذا معناه أن الإنسان لا يمكن أن يتجاهل التاريخ في حياته، أو يستبعد حوادثه التي تعينه على فهم ذاته الحضارية. بل وتسهم في هدايته إلى اتجاهات أخرى تلزمه في الحاضر وقد تعينه على الكثير مما قد يصادفه في حياته.

هذه المعرفة التي يتم تناقلها جيلا زمنيا بعد جيل تطرح مسألتين الأولى: ارتباط الماضي في الحاضر بالحاضر فالتاريخ مستمر في الحاضر استمرارا تفرض وجوده وعناصره ثقافة الأمة الحالية المتوارثة من الأجيال والثانية: أنه مؤشر يبني عليه ما يحدث في الحاضر تجاه المستقبل فالبيروني ربط الماضي بالحاضر فعنوان كتابه " الآثار الباقية" يشير إلى هذه الفكرة فالتاريخ هو الماضي الحاضر إذ أن مجموع عوارض الماضي حاضرة بإخبارها وآثارها وفحص تلك الأخبار عملية تنجز دائما في الحاضر فالتاريخ حاضر بمعنيين. (٢) (ياسين، ٢٠١٠).^{١٣}

تجسيد دولة الإمارات العربية المتحدة في البناء والتطور والازدهار بالمحافظة على التراث:

على الرغم من أن بناء نهضة الوطن وتحقيق الازدهار الاقتصادي والاجتماعي والتنموي وتحقيق الرخاء وإسعاد المواطنين تصدرت على الدوام قائمة أولويات المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان طيب الله أثره إلا أنه كان دائم الحرص على المحافظة على التراث المحلي باعتباره مكونا رئيسيا من مكونات الهوية الوطنية، وكذلك الشخصية الإماراتية، حيث قال عن ذلك: "على شعبنا الا ينسى ماضيه وأسلافه، كيف عاشوا وعلى ماذا اعتمدوا في حياتهم وكلما أحس الناس بماضيهم أكثر، عرفوا تراثهم، أصبحوا أكثر اهتماما ببلادهم أكثر استعدادا للدفاع عنها، كما أكد مرارا مشاعر الاعتزاز بالتراث المحلي، حيث قال: "لقد ترك لنا الأسلاف من أجدادنا الكثير من التراث الشعبي الذي يحق لنا أن نفخر به ونحافظ عليه ونطوره ليبقى ذخرا لهذا الوطن وللأجيال القادمة".

وعلى مر السنوات عمل الشيخ زايد رحمه الله، على صون وحفظ التراث والعادات والتقاليد والقيم لضمان انتقالها إلى الأجيال المتعاقبة، حيث قال في هذا المجال: "من لا يعرف ماضيه لا يستطيع أن يعيش حاضره و مستقبله فمن الماضي نتعلم ونكتسب الخبرة ونستفيد من الدروس

^{١٣} - محمد العربي بوش، د. عبد القادر مهاوات الشهاب، دور القيم الروحية في بناء الأمم والحضارات حيثياتها-دولة المرابطين أنموذجا، مرجع سابق، ص ٢٧١-٢٧٨

٢- رياض حموده ياسين، البيروني ودوره في الكتابة التاريخية، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، ص ٢٤٤-٢٤٥

والنتائج"، وتماشيا مع هذا النهج أولت الدولة اهتماما كبيرا بإقامة مؤسسات متخصصة في حفظ التراث، بما فيها نادي تراث الإمارات الذي تم إنشاؤه في عام ١٩٩٣، وإقامة المتاحف والمعارض والقرى التراثية التي تعرف المواطنين والمقيمين والزوار بجوانب مختلفة من التقاليد والعادات المحلية، ونشر وترسيخ التراث وتأهيل قطاع الشباب والناشئة ليكونوا أعضاء فاعلين في المجتمع، بما يتواءم مع طبيعة العصر ومتطلباته، حيث قال الشيخ زايد طيب الله أثره في هذا المجال: "الجيل الجديد يجب أن يعرف كم قاسى الجيل الذي سبقه لأن ذلك يزيده صلابة وصبرا وجهادا لمواصلة المسيرة التي بدأها الآباء والأجداد وهي المسيرة التي جسدت في النهاية، الأمانى القومية بعد فترة طويلة من المعاناة ضد التخلف والحرمان".

إلى جانب ذلك وجه الشيخ زايد بتنظيم الكثير من النشاطات والفعاليات التي تحافظ على التراث المحلي مثل سباقات الهجن وفعاليات الفروسية والصيد بالصقور، وسباقات الزوارق الخشبية انطلاقا من إيمانه بأهمية هذه الفعاليات في بناء شخصية النشء الجديد وتعليمه الصفات الحميدة. (١) (زايد مسيرة القائد المؤسس، ٢٠١٨) كما حظيت الجمعيات التراثية باهتمام خاص، بالتزامن مع إقامة مراكز وفعاليات متخصصة للفنون القديمة والحرف اليدوية والصناعات التقليدية، لضمان المحافظة عليها من الاندثار، وأن تسير عجلة التحديث المتسارعة بالتزامن مع التمسك بالتراث والتاريخ والتقاليد.

وشكل الحفاظ على القيم الإماراتية الأصيلة إحدى أبرز القضايا التي حظيت باهتمام الدولة منذ قيامها، وقد أشار الشيخ زايد طيب الله أثره، على الدوام إلى ضرورة المحافظة على هذه القيم المستمدة من الشريعة الإسلامية السمحاء باعتبارها أحد الأسس الرئيسية للمجتمع الإماراتي مؤكداً أن ثقافة المجتمع وهويته ستظل مصدرا للإلهام وفخرا للمجتمع، وأن القيم التقليدية التي تجذرت في صميم الحياة في دولة الإمارات العربية المتحدة عبر القرون، تؤكد على أهمية العلاقات الإنسانية، وكرم الضيافة، والتسامح والتعايش بين مختلف الثقافات (١) (زايد مسيرة القائد المؤسس، ٢٠١٨) ^{١٥}.

الخاتمة: نلاحظ مما تقدم لقد كان للصحراء دور كبير جدا قد لعبته على مر العصور. فمنذ بداية التاريخ، كانت أقدم الحضارات قد نشأت من قلب الصحراء وحقق إنجازاتها.

ولاسيما دولة الإمارات العربية فنلاحظ أن تلك القاعدة الصحراوية الواسعة، كانت لها الدور الفعال التي قامت ونشأت عليه دولة الإمارات العربية المتحدة حيث قام سكانها من استثمار تلك

2018 زايد مسيرة القائد المؤسس، إصدار موتيفيت للنشر، دبي، -1 ¹⁴

2018 زايد مسيرة القائد المؤسس، إصدار موتيفيت للنشر، دبي، -1 ¹⁵

العوامل والظروف في عملية التأسيس والبناء ومنها إلى تحقيق الإنجازات والطموحات الكبيرة. مع الحفاظ على هذا التراث العريق، وقد تمكنت دولة الإمارات العربية المتحدة من تحقيق إنجازات تواكب بتطورها أحدث التطورات في العصر الحالي.

وما بين الماضي والعراق والحداثة والتطور نشأت وازدهرت دولة الإمارات العربية المتحدة وما تشربت منها من أصالة، وقيم، وعراقة. ومن خلال الفكر الهادف والطموح الكبير والسعي المتواصل والجهد الكادح ازدهرت وأصبحت مثال يحتذى به وقدوة بكل المعايير حيث كانت تلك قاعدة غنية بالدروس والأسس القيمة، إذ أن تلك القيم والعراقة والأصالة هي الميزة الجوهرية التي امتازت بها، وحافظت عليها وتقوم بتوريثها للأجيال.

قائمة المراجع

- البريجية، أ. (٢٠١٦، ٢٢ سبتمبر). مفهوم الحضارة والقيم.
- الجغرافيا لدولة الإمارات العربية المتحدة. (د.ت.). د.م.: مكتبة المعرفة.
- الكريم، أ.-س. ع. أ. (د.ت.). عوامل نشوء الحضارات بين الأحادية والتعددية. جامعة بنغازي.
- المكتوم، م. بن ر. (٢٠١٨). قصتي. دبي، الإمارات العربية المتحدة: دار الاستكشاف للنشر والتوزيع.
- السلوم، أ. أ. (د.ت.). القيم الروحية والتقدم التنموي في فكر ابن خلدون، مع الإشارة إلى التجربة الماليزية كنموذج لمساهمة القيم في التقدم التنموي للمجتمعات المعاصرة. جامعة أدرار.
- ابن خلدون، و. الد. ع. الر. بن م. (٢٠٠٤). مقدمة ابن خلدون (المجلد ١، الطبعة الأولى). دمشق، سوريا: دار يارب.
- الياربي، س. بن س. (٢٠١٧، فبراير). الأخلاق أساس الحضارة. الاتحاد.
- قاسم، ق. أ. ق. (٢٠١٥). التاريخ: المفهوم الثقافي. القاهرة، مصر: دار العين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.
- ياسين، ر. ح. (٢٠١٠). البيروني ودوره في التأريخ (الطبعة الأولى). يافا: دار يافا العلمية للنشر والتوزيع.
- زناتي، ج. ج. (٢٠١٨). الموسوعة التاريخية لإمارات السعادة: الإمارات العربية المتحدة بين عبق الماضي وآمال المستقبل. جامعة الإسكندرية.
- زايد: رحلة القائد المؤسس. (٢٠١٨). دبي، الإمارات العربية المتحدة: موتيفيت للنشر.